–تاريخ تحليل الخطاب

يقول الدارســـان باتريك شـــارودو و دومينيك مانغونو:في معجمهما الموســـوم بتحليل الخطاب :" و لم ينشـأ تحليل الخطاب داخل علوم اللغة عن فعل مؤسـس ، ولكنه أتى من التقاء تيارات منطلقاتها شـديدة الاختلاف ظهرت في أوروبا و أمريكا في السـتينيات، ولا يزال الالتقاء يتطور يوما يعد يوم، وكلها تدور على دراسـة الإنجازات المتجاورة للجملة شـفويا كان الإنجاز أو مكتوبا بغية فهم دلالتها الاجتماعية ، و لما كان قســـم كبير من هذه الأبحاث تطور حول ميادين تجريبية كان لا بد لها من إيجاد مصطلحات محلية ، و قد تم ذلك في الغالب بجهل ما كان يقع في ميادين مجاورة ."[1].

و بداية من الثمانينيات ازداد الأمر أهمية، فيما وقع في التسعينات تعميم دك الحواجز بين مختلف التيارات التي اتخذت من الخطاب موضوعا لها، و كانت فرنسا أحد المراكز الكبرى التي تطور فيها تحليل الخطاب .

قدمت أعمال المدرســـة الفرنســـية (في الســـتينيات) ، و أفكار فوكو (الواردة في كتابه أركيولوجيا المعرفة) صـورة ناصـعة عن الأبحاث الفرنكوفونية، و لكن لم يتم ذلك دون خسـارة، ذلك أن هذه الإشـكالات أسـهمت أيضـا في حجب التنوع الكبير، الذي كانت عليه الأعمال المـُنجزة في فرنسا على مدونات شديدة الاختلاف ، و بمقاربات كذلك .

أما اليوم فقد أصبح تحليل الخطاب عالميا و بنشر الأعمال تتسع دائرته يوما بعد يوم ، و ربط الصـلة ربطا يقوى باسـتمرار بين تيارات كان بعضـها فيما مضـى يجهل بعضـا، ولا يسـتلزم تماثل الإشكاليات و المصطلحات ، فالعالمية تسير بالأحرى في اتجاه تكوين شبكات " فالمعتنقون لهذا الشكل في تحليل الخطاب أو ذلك يتوزعون على عدد من البلدان كبير "[2].

---

[1]- باتريك شارودوو دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب بالاشتراك مع آخرين ، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود مراجعة صلاح الدين الشريف ، دارسناترا ،المركز الوطني للترجمة ، تونس ، (دط) ، 2008، ص9.

[2] - المرجع السابق، ص10.

و يقولان أيضا [3] : من العسير أن نستعرض تاريخ تحليل الخطاب لأنه لا يمكن اعتباره متأتيا عن عمل تأسيسي، و لأنه ناتج في آن واحد عن تضافر تيارات حديثة، وتجديد لممارسات قديمة جدا في دراسات النصوص (بلاغية ، و فقه لغوية و هرمينوطيقية).

1- المرحلة الأولى : جاء مصـــطلح تحليل الخطاب عن فصـــل ز.س. هاريس (1952) ويقصد به توسيع الطرق التوزيعية التقليدية لتشمل ما فوق الجمل من وحدات .

2- المرحلة الثانية: احتلت هذه المرحلة أواســط الســتينيات من القرن العشــرين، أين ارتسمت فيها ملامح التيارات نحو:

- علم أثنولوجية التواصل (مع قمبرز و هايمز سنة 1964).
- التحليل التحادثي ذو النزعة الإثنية المنهجية (مع قارفنكال سنة 1967).
- المدرسة الفرنسية.
- نمو التيارات التداولية .
- نظريات التلفظ و اللسانيات النصية .
- أصناف من التفكير (مثل تفكير ميشال فوكو " 1969 "- وميخائيل باختين).

و تحت عنوان انبعاث فن ذكر الدارســـان قولهما : (يميل بعضـــهم إلى ألا يروا في تحليل الخطاب فضـــاء انتقاليا ، وحقلا طفيليا للســـانيات، أو علم الاجتماع ، أو علم النفس، فكل هذه الحقول تمثل لديهم فنونا حقيقية .

و يرى آخرون فيه – باستحياء من المدرسة الفرنسية خاصة- ضربا من الفضاء النقدي، وموقع تساؤل و تجريب ممكن للقضايا التي تعترض الفنون القائمة بذاتها، أن تصاغ فيه مع تحويل مجراها ، و في هذه الحالة يقترب وضعها من وضع الفلسفة .

و في هذه الحالة أو تلك يتعلق الأمر بفضـــاء لطرح الإشـــكاليات أكثر مما يتعلق بفن حقيقي، لكن تاريخ تحليل الخطاب منذ الستينات يدل على أن الصبغة الفنية لتحليل الخطاب ما انفكت تتدعم. ومن الأكيد أنه إذا كان له في البداية – خاصـة – مرمىً نقديا ، فإنه وسـع تدريجيا حقل الدراسة ليشمل مجموع الإنتاجات اللغوية، و وضع جهازا مفهوميا خصوصيا، و

[3] - المرجع نفسه، ص44.

بعث بين مختلف تياراته حوارا متزايدا، و حدد طرقا مختلفة عن طرق تحليل المحتوى أو المقاربات الهرمينوطيقية التقليدية ...

إن وجود فن من قبيل تحليل الخطاب ليس في ذاته ظاهرة غير ذات بال، فلأول مرة في التاريخ تصبح مجموع ملفوظات مجتمع ما متصورة في تعدد أجناسها موضوعا للدراسة ، و هذه الحركة تقضي في حد ذاتها وجود نسق خطاب خصوصي " إن ما هو معنى هنا ليس تحييدا للخطاب باتخاذه علامة على شيء آخر نحو اختراق سماكته ليصل المرء إلى ما يبقى صامتا دونه و الاحتفاظ بكثافته و إبراز ما له من تعقد خاص به " فوكو 1969)[4].

[4] - المرجع السابق : ص47.